باب المراسلة والمناظرة

١ — استدراك على مقال

قرأت في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٤ مقالاً للدكتور أسعد طلس بشأن « دار الحديث النورية » (ص ١٣٢ — ١٣٧) ، فرأيت فيه (ص ١٣٤) ما نصه : « وفي سنة تسع وتسعين وسبعمائة حين دخل التتار دمشق احترق قسم كبير من المدينة ، وكانت هذه الدار وغيرها من معاهد العلم طعمة للنار . قال الذهبي في مختصر تاريخ الاسلام : « وفي سنة تسع وتسعين وسبعمائة دخل التتار دمشق وشرعوا في المصادرة والفسق ونهبوا الصالحية وسبوا أهلها ووقع الحريق . . . » الى آخره

وهذا الكلام منهُ مُحال ، ومنهُ خطأ . أما المحال فأن يكون الحافظ الذهبي قال شيئاً من هذا . فان الخبر من حادث يُنسب الى سنة ٧٩٩ ، والحافظ الذهبي مات سنة ٧٤٨ أي قبل التاريخ الذي أُرّخ بهِ الحادث بأكثر من خمسين سنة . وأما الخطأ ففي تاريخ دخول التتار الى دمشق سنة ٧٩٩ . فانهم لم يدخلوها إلاَّ سنة ٨٠٣ . وبذلك أرخها كل المؤرخين الذين رأينا مصادرهم بين أيدينا ، لم يخالف أحد منهم في ذلك . فانظر مثلاً « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » للحافظ السخاوي (ج ٣ ص ٤٧ — ٤٨) في ترجمة « تيمورلنك » فانه ذكر أنهُ قصد سيواس في آخر سنة ٨٠٢ ، ثم نزل يوم الخميس ٩ شهر ربيع الاول سنة ثلاث يعني ٨٠٣ على حلب . ثم ذكر أن التتار اقاموا بحلب يعاقبون ويأخذون الاموال الى يوم السبت مستهل شهر ربيع الآخر أو ثانيه ، ثم رحلوا الى جهة دمشق وأخذوها . ثم قال : « واستمر بدمشق — يعني تيمورلنك — الى العشر الثاني من شعبان » الى آخره . وكل ذلك في سنة ٨٠٣ . وانظر أيضاً « شذرات الذهب » لابن العماد (ج ٧ ص ٢٢ ، ٦٤ — ٢٦٥) فانه يؤرخ دخول التتار الى دمشق سنة ٨٠٣ . وانظر أيضاً « تاريخ ابن إياس » (ج ١ ص ٣٣٤ طبعة بولاق) فانه يؤرخ يوم حرق دمشق في حوادث سنة ٨٠٣ : « فلما كان يوم الخميس مستهل شعبان أمر تيمورلنك باحراق مدينة دمشق » الى آخره . ثم يقول (ص ٣٣٥) : « ولما كان يوم الجمعة ثاني شهر شعبان فيه — يعني في عام ٨٠٣ — رحل تيمورلنك عن دمشق بعد ما فعل

الذي فعلهُ ، فأخذ عسكره وخرج من دمشق ، وكانت مدة إقامته بدمشق الى أن رحل عنها نحو ثمانين يوماً » . وكذلك تجد تفصيل بعض هذه الحوادث في ذلك التاريخ في « خطط الشام » لمحمد كرد علي (ج ٢ ص ١٧٩)

ولست أدري من أين أتى لخطأ لكاتب المقال ولمصدره الذي نقل عنهُ ، وهو كتاب مخطوط للشيخ عبد القادر بدران . فلعلهُ يتفضل بالتحقيق أو التصحيح.

أحمد محمد شاكر

◆

٢ — الجامعة السورية والمصطلحات العلمية

وردت في مقتطف يناير من هذا العام بضع كلمات طبية أحببت أن أذكر لكم ما يستعمل مقابلاً لها في معهد الطب من الجامعة السورية بدمشق

« عُصَيَّة » وتستعمل مقابلة كلمة باشلس وفرنسيتها Bacille « مكورات عنقودية » مقابلة Staphylococcus « مكورات عقدية » مقابلة Streptococcus . « مكورات رئوية » مقابلة Pneumococcus . « مكورات بنيَّة » مقابلة Gonococcus (وذلك لمشابهة هذا الجرثوم في المحضرات المجهرية لحبتي البن المتقابلتين) . « العصية الخُنَّاقية » أو « عصية الخناق النشأي » مقابلة باشلس الدفتريا . « العصية القولونية » مقابلة Bacillus coli . وكثيراً ما ترد هذه الاسماء بالصيغة الآتية اختصاراً فيقال : عنقوديات وعقديات وكولونيات . وذكرت عظمة الأذن الخلفية والمراد بها Mastoide « وهي الخشاء »

وهذه الكلمات ومئات غيرها في مختلف العلوم الطبية تكوّن اصطلاحات لغة طبية مفهومة بين خريجي المعهد الطبي العربي الكثيري العدد والمنتشرين في البلاد العربية كافة وهي كلمات وضعها أو عرّبها أو اقتبسها من جهود علماء اللغة أساتذة أعلام في هذا المعهد ، أذكر منهم مرشد خاطر أستاذ أمراض الجراحة ومديريتها ، وحمدي الخياط أستاذ في الجراثيم والصحة ، والاستاذ جميل الخاني الاستاذ السابق لعلم الطبيعة والأمراض الجلدية والزهرية ، وغيرهم ممن جعل من اللغة العربية لغة كاملة قادرة أن يُستغنى بها عن غيرها في تدريس هذا الفن الجليل : الطب ، والعلوم التي تتفرع منه أو تتعلق به .

دمشق عبد السلام العجيلي

◆

٣ — الشاعر هومروس وعلم الآثار

الشهر الماضي تحدث الاستاذ أ . ج . ب . وايس A. J. B. Wace أستاذ الدراسات القديمة في جامعة ڤروق الاول ، في الجمعية الجغرافية ، عن شعر هومروس وصلة الآثار به . فبدا لي أن أجل الحديث مع بعض التعقيب على سبيل الاشارة حتى عودة أخرى .

بدأ المحدث بقوله إن اليونان المتقدمين لم يشكوا قط في صحة نسبة الالياذة والاوديسية كليهما الى صاحبهما سواء في ذلك المؤرخون أو الفلاسفة أو الشعراء

ثم جاءت مدرسة الاسكندرية بمناهجها العلمية وتناولت شعر هومروس بالنقد التحليلي، وبلغت شأواً بعيداً في نقد النصوص من الناحية اللغوية ، وخلّصت النص مما أُقحم فيه من الكلمات والمعاني المستحدثة ، وقد زعم هذه المدرسة العالمان اللغويان أريستارخُس Aristarchus وزنودوتس Zenodotus في القرن الثاني قبل المسيح . وظهرت في الاسكندرية أيضاً مدرسة ذهبت الى أن كاتب الالياذة لا يمكن أن يكون هو نفسه مؤلف الاوديسية ، وراحت تفصل بين الملحمتين المطوّلتين ، ومدرسة « الفاصلين » هذه زعمها كزينو Xeno وهيلانِيكس Hellanicus ، ولكن أساطين نقاد الاسكندرية يوم ذاك لم يأبهوا كثيراً لهذه المدرسة

وفي العصر الروماني ذهب المؤرخ اليهودي يوسف Josephus إلى أن الكتابة لم تكن قد عرفت في أيام هومروس ، وأن القصيدتين إنّما هما إلاّ مجموعة من الاناشيد . أما الخطيب الروماني كيكرو Cicero فقال إن المطوّلتين كُتبتا في عهد الطاغية پيزسترَاتس Pisistratus في أثينة في القرن السادس قبل الميلاد

أما في العهد الحديث فقد أخرج الناقد الالماني الكبير وُلف Wolf كتابه « المقدمة » Prolegomena باللاتينية في سنة ١٧٩٥ موسوماً بطابع الشك الذي ساد أوربة قبل الثورة الفرنسية . وكانت الثورة نفسها من مظاهره ، أخذ فيها بنظرية يوسف وكيكرو جميعاً . وعزا ما في المطوّلتين من وحدة الى مجهودات مدرسة الاسكندرية . وقال إن الاناشيد كانت من نظم شعراء متعددين وآمنت مدرسة النقد الهومري الالمانية بمذهب إمامها ، واتجه رجالها إلى « تشريح » المطوّلتين وإبراز الاناشيد الأصلية من ثناياها

وهنا طلع علم الآثار بفتوحاته على يد شليمن Schliemann فكشف عن طروادة

مسرح الحرب ومايسيني بصمة أجممنون زعيم الحملة اليونانيــة ، فكشفت ألواحٌ عليـها كتابات بدّدت نظريات النقّـاد ، وثبت بها قطعاً أن الشعر الهومري كان من الممكن تسجيله في حينه ، لأن الكتابة كانت معروفة في القرن الحادي عشر ق.م أو قبله ؛ حالة أن شعر هومرس لم يدّع أحدٌ كتابته قبل القرن التاسع .

ثم أورد المحدّث شواهد كثيرة على صدق الشاعر وأمانته في الوصف مما كشفت عنهُ المقابر، منها قرون العتائر المذهّبة ، وهياكل الكلاب المدفونة مع أصحابها ، والخوذات البرنزية ، ومختلف أنواع الأسلحة ، وصور مركبات تجرها الخيل وغيرها

وهنا أثبت المحدّث أن اليونان كانوا ينحتون التماثيل في عصر هومرس ، وقال إنهُ وجد أثناء قيامه بالحفائر في مايسيني تمثالاً يصور ثلاثة شخوص

وبعد ، فلا شك أن هذه الشواهد كلها تدل على أن الشاعر عاش في أعقاب حضارة وُفّق في وصفها وصفاً أميناً ، ثم تدحض مزاعم النقاد الذين أنكروا وجود حضارة رائعة في هذا التاريخ المتباعد . ولكنها – عندنا – لا تثبت أن الالياذة وضعت على هذا النحو الذي نعرفها به الآن ؛ ولا تهوّن مما يُعزى إلى مدرسة الاسكندرية من تغيير وتنقيح وترتيب في النص ؛ كما أنها لا ترد في شيء على نظرية « الفاصلين » وكنا نرجو أن يدعم المحدّث الصلة بين المطوّلتين ، كما صنع الاستاذ ستانلي كسن Stanley Casson في مقالة « كيف ألّف هومرس الاوديسة ؟ » في مجلة « الآثار » Antiquity مارس ١٩٤٢

وعندنا أن القول الفصل في المسألة الهومرية لا يزال بين أيدي أصحاب النقد الداخلي الذين عليهم أن يفسحوا الطريق للشاعر حتى يدافع عن نفسه بواسطة آثاره نفسها ، فيظهروا منهجه الشعري وطريقة نظمه وانسياق خواطره ، ثم يتوفروا على تبيين خصائصه الشعرية إلى جنب مفهوم الملحمة في نظره ، ويثبتوا بعد ذلك وحدة موضوع كل مطوّلة واستمرار أبطالها على خلق لا يتغير في الالياذات المختلفة، ثم اطراد فلسفة واحدة في ما يتعلق بآلهة السماء في كلتا الملحمتين. ومن الأمثلة في هذا ما قاله الاستاذ س . إ. بِسِت S. E. Bassett في كتابه « شعر هومرُس » (سنة ١٩٣٨) .

وهيب كامل